شهريات

بقلم رئيس التحرير

١ . « الآداب » : ٢١ عاما .

بهذا العدد تدخل « الآداب » عامها الواحد والعشرين ولا أحسبها مبالغة ان اقول ان استمرار « الآداب » معجزة ، في الظروف التي يعيشها الادب والمجلات الادبية في الوطن العربي .

وقد أصبح القراء يدركون معطيات هذه المعجزة ، لطول ما رددناها في الاعوام الماضية ، فلا حاجة بنا الى ايرادها هنا من جديد .

وحسبي ان اقول : ان « الآداب » ستواصل تحقيق هذه « المعجزة » لسبب رئيسي واحد : هو احساسي العميق ، واحساس الادباء الذين يشاركون في تحريرها ، واحساس القراء الذين يقبلون عليها ، بانها لا تزال تقوم بدورها في حياتنا الادبية ، لانها لا تزال تحمل خير نتاج ادباء العربية المعاصرين .

ان « الآداب » قد تنشر احيانا ، بدافع من روح التشجيع ، قصيدة او قصة متوسطتين ، ولكننا لا نحسب اننا نشرنا يوما مادة ساقطة في الرداءة او التفاهة ، لان الميزان الذي نزن به اقرب الى الصرامة منه الى التساهل . فان كان هناك من يخالفنا الرأي في ذلك ، فالامر يدخل آنذاك في مجال الاجتهاد والتعليل . واذا كان ثمة رأي يقول بان مستوى المجلة قد هبط عن ذي قبل ، فالارجح في تفسير ذلك ان الخلق والابداع يعانيان ، منذ حين ، بعض المعاناة ، والا فأين هي المجلة الادبية التي تفضل « الآداب » تمثيلا للادب العربي الحديث في اتساعه على ارض الوطن العربي كله ، وفي تغلغله داخل الفنون الادبية جميعا ، وبعبارة اخرى ، أفقيا وعموديا ؟

لقد شهد معظم ادباء العربية الشبان مولدهم على صفحات هذه المجلة ، وليس فيهم من لا يعترف بذلك . ومن الطبيعي ان ينصرف الكثيرون منهم الى ميادين اخرى ، بل ان يشرفوا على مجلات اخرى او يشاركوا في تحريرها . ولكنهم يدينون « للآداب » بأنها احتضنت مواهبهم ، وساعدتهم على تنمية هذه المواهب وصقلها بما كان يقدمه نقادها من تحليلات وملاحظات . ثم احتضنت « دار الآداب » انتاج كثيرين من هؤلاء الذين درجوا على صفحاتها ... وكان طبيعيا بعد ذلك ان تفتح صدرها لجيل آخر من الشبان ، ثم لجيل ثالث .. وهكذا ، تابع قراء العربية ، عبر صفحات هذه المجلة ، نتاج اجيال مختلفة من الادباء ، فكانت « الآداب » مدرسة تخرّج منها ، ولا يزال يتخرج ، معظم الادباء المبدعين الذين يملأون حياتنا الادبية نشاطا وحركة .

وبوسعنا ان نفخر بأن « الآداب » أصبحت مرجعا رئيسيا لدراسة تطور الادب العربي الحديث في النصف الثاني من هذا القرن . وقد ساعد خطها الملتزم على تقديم جميع الوثائق التي تتيح لعلماء الاجتماع ان يدرسوا هموم المجتمع العربي المعاصر عبر انتاج الشعراء والقصاصين والنقاد . ونحن نعرف كثيرا من المستشرقين والمستعربين الذين يبنون دراساتهم عن المجتمع العربي على كثير من مواد هذه المجلة التي يحرصون على اقتنائها ومطالعتها . ومما يزيدنا فخرا ان مجموعات « الآداب » تحتل مكانها في كثير من المكتبات العالمية ، الى جانب المراجع الاجنبية الكبيرة والموسوعات والمعاجم .

* * *

هذا ، اذن ، هو العدد الاول من السنة الحادية والعشرين من عمر « الآداب » .. وانا اكتب هذه الكلمات قبل ايام قليلة من صدوره .

ولكني منذ الآن أراه أمامي ، وأراني أمامه ، آخذه بيدي ، كما اخذت زهاء مئتين واربعين عددا سبقته ، فاقلبه لحظات ، ثم اشرع في قطع صفحاته ، أتلمس ورقه باصابعي ، واطالع عناوين مقالاته التي قرأتها ، وأشم رائحة الحبر فيه ، حتى اذا فرغت من تقليبه ، أرحته على الطاولة وانا اتنفس الصعداء . ثم اقول لنفسي : سآخذ الآن بعض الراحة ، يوما او يومين ... ثم افاجيء نفسي بعد دقائق وانا ابدأ الاعداد للعدد الجديد ...

وطوال هذه الاعوام العشرين ، كان يعزيني دائما من التعب والتضحية اني كنت أتمثل قارىء « الآداب » يسأل عنها اواخر كل شهر ، وينتظر وصولها الى المكتبة التي اعتاد ان يتردد اليها ، فاذا رآها معلقة على الواجهة ، خفق قلبه وتنفس الصعداء ، كأنما كان يخشى الا تصدر ذلك الشهر ، ثم اخذ نسخته ليخلو اليها في غرفته ، بحب وحنان .

تحية الى هذا القارىء ، الذي أتحد به عبر «الآداب» في عيدها الحادي والعشرين .

٢ • في ملتقى ثقافي مشترك

حضرت هذا الشهر ملتقى ثقافيا عقد في مدينة فلورنسا بايطاليا ايام ١٤ و١٥ و١٦ كانون الاول (ديسمبر) وشارك فيه عدد من المفكرين العرب والاجانب (١) . وقد قدمت الى هذا المؤتمر المصغر الكلمة التالية :

حين تلقيت دعوة « معهد العلاقات بين ايطاليا وبلاد افريقيا واميركا اللاتينية والشرق الاوسط » للمشاركة في اعمال هذا الملتقى ، كنت بسبيل اعداد كلمات وخطب كان عليّ ان القيها في بيروت ودمشق . ولما كانت المهلة المعطاة لارسال بحث الى الملتقى محدودة جدا ، فقد فكرت اولا بالاعتذار عن الحضور . ولكن شعوري بأهمية هذه الندوة ورغبتي في ان انقل عنها صورة الى قراء مجلة « الآداب » دفعاني اخيرا الى الموافقة على المشاركة فيها .

من أجل هذا لا بد لي من ان اعتذر امامكم عن اجتزائي ببعض الافكار العامة التي يوحيها لي موضوع الندوة : لقاء الثقافة العربية وثقافة البحر الابيض المتوسط في العصر الحاضر .

ولا حاجة بي هنا ، ان ارتدّ الى العلاقات المتبادلة التي عرفها العالم العربي واوروبا المتوسطية في التاريخ القديم والقرون الوسطى والعهود الحديثة والمعاصرة . ولكن لا بد من الاشارة الى ان هذه العلاقات كانت محكومة، حتى تاريخ قريب جدا ، بالتبعية . ولا شك في ان النهضة القومية للشعوب العربية قد فتحت مرحلة جديدة أصبح وعي القيم الخاصة فيها لكل من الحضارتين العربية والمتوسطية يفرض تعميق المعرفة المتبادلة وتحديد الاسهامات التي يمكن في المستقبل ان تؤدي الى بناء مشترك .

والواقع ان رفض الثقافة الغربية ، ان كان لا يزال يجد بعض المؤيدين في العالم العربي ، انما هو ناشيء عن رفض الاستعمار الغربي الذي عاناه المشرق العربي . وبالرغم من ان هذا الاستعمار قد انحسر تقريبا عن البلاد العربية ، فان آثاره ، والاشكال الجديدة التي يتخذها على صعيد الاقتصاد والثقافة ، لا تزال واضحة . ذلك ان العالم العربي ما يزال خاضعا للغرب بسبب التقدم العلمي والتكنولوجي الذي يفتقر اليه . والسؤال الآن هو : ايكون هذا التفوق العلمي والتكنولوجي للغرب حائلا دون التفاهم بين العالم العربي وعالم اوروبا المتوسطية ؟

لئن كان التخلف العلمي والتكنولوجي الذي يعيشه الشرق العربي يجعله في تخلف عام على الصعيد الحضاري، فان التفوق العلمي ، بالمقابل ، لا يجعل الغرب في وضع السعادة التي تطمح اليها البشرية .

لقد شهد انجلز منذ عام ١٩٤٥ (٢) على ان التصنيع قد خلق عالما بلغ من امره ان « جنسا فاقد الانسانية ، منحطا ، مسفلا الى مستوى حيواني ، سواء من وجهة النظر الفكرية او من وجهة النظر الاخلاقية ، مريضا جسديا ، هو وحده قادر على ان يوجد فيه »

وهذا الاعتلال في الثقافة الغربية هو الذي يدفع الشبيبة الاوروبية على مقابلة المؤسسات والقيم الغربية برفض جماعي ، ووفق ما يقول غارودي (٣) . « فالمؤسسات الاقدم عهدا هي موضع التهمة والرفض : الاسرة ، الكنيسة ، المدرسة ، الدولة ، مفاهيم العمل والملكية والسياسة والاخلاق والثقافة والفنون » .

من اجل هذا ، تناضل الشبيبة الاوروبية ضد الافقار الانساني ورهن المعرفة . انها ترفض ان تربط الحياة بالتقنية وحدها .

هل لدى الشرق العربي ، والثقافة العربية الحديثة ، ما تقدمه لمعالجة هذه الآفة ؟ صحيح ان المتخلف لا يستطيع مبدئيا ان يساعد المتقدم على التخلص من مرض يعانيه . ولكن هذا المتخلف لم يكن كذلك دائما : لقد قدم في القرون الوسطى حضارة افاد منها العالم المتخلف كله . فله اذن تراث وتقاليد وقيم . ولا شك ان له في هذا التراث ما يستطيع بعد ان يقدمه في حوار جديد بين الشرق والغرب عامة ، وبين العالم العربي والعالم المتوسطي خاصة .

لقد كانت حضارة اليونان حضارة عقلية مجردة ، وكان فضل العرب في القرون الوسطى انهم ادخلوا العقل العلمي التجريبي . نزعوا عن الفكر اليوناني طابع التجريد، ومنحوه حس الاتصال بالواقع الانساني . لقد ادركوا ان التقدم ذو قطبين : قطب علمي وقطب انساني ، فحققوا ذلك التوازن الذي كان اساس حضارتهم . وروح التوازن هذا هو الذي نستطيع ان نقدمه للحضارة الغربية المستقطبة اليوم حول التقدم العلمي والتكنولوجي .

ان الثقافة الشرقية اجمالا ، والعربية خاصة ، تلح على العلاقات البشرية ، على العناية بالآخر ، على الاهتمام بالغير . وهذه النزعة الانسانية هي التي يضع الاجنبي يده عليها دائما حين يزور الشرق ، فيلمس روح التواصل وروح الفروسية ، وحسّ الشرقي بعدم الاكتفاء الذاتي ، وبأنه ممتد في الآخرين ، ولا يكتمل الا بهم ، ولعل هذا ما يفسر شغف العربي بفكرة الوحدة ، على كل صعيد ، سياسي واقتصادي وفكري . وهذه الفكرة ابعد ما تكون عن الشوفينية او حب السيطرة . انها رمز روابط روحية وثقافية ، روابط اخوة حقيقية وعميقة .

غير ان الغربي الذي يطمح الى تحقيق شكل من اشكال وحدة ممائلة في اوروبا ، لا يفهم دائما طموح العرب الى وحدتهم ، ويؤيد غالبا ما يعرقل هذه الوحدة او يعطلها . وهذا ما يفسد غالبا هذا الحوار بين الشرق والغرب . وبين الثقافة العربية والثقافة الغربية . واكثر

(١) تنشر « الآداب » في هذا العدد بعض ابحاث هذا الملتقى .

(٢) في كتابه « وضع طبقة العمال في انكلترا »

(٣) « البديل » ص ٢٢ .

ما يتجلى ذلك منذ اكثر من ربع قرن في تأييد الغرب لاسرائيل ولقيام الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي ، وسيكون هذا الدعم نقطة خلاف دائم بين العرب والغربيين تحول دون قيام تعاون حقيقي لمصلحة السلام والعدل والحضارة . والحجة التي يتذرع بها هذا الغرب غالبا لتأييد الكيان الصهيوني هي انه يدعم التقدم ضد التخلف، وهو موقف من قبل الثقافة الغربية اقل ما يقال فيه انه لا ثقافي ولا انساني . ذلك ان اسرائيل دولة تقوم على روابط دينية ولها اهداف اقتصادية واستعمارية وتوسعية، وتعمل بقوتها العسكرية المدعومة بالاستعمار الامبريالي على استغلال ثروات الشرق العربي واخضاع الانسان العربي . وهي من هذه الزاوية تمثل كل آفات التقدم التكنولوجي الذي يقوم على حساب القيم الانسانية الحقيقية .

ومع ذلك ، فان قطاعات كبيرة من شعوب البحر الابيض المتوسط قد بدأت تدرك خطر قيام هذه الدولة وسط عالم له تراثه وأصالته ، وهو مدعو الى ان يلعب دوره في حوار الشرق والغرب .

* * *

كتب الفيلسوف العربي رينه حبشي يقول ، متحدثا عن العلاقات بين الثقافة العربية وثقافة البحر الابيض المتوسط :

« ليس هناك ثقافة عربية ، كما يقدمها لنا التاريخ ، بلا البحر الابيض المتوسط (...) والتخلي عن المتوسط بالنسبة الينا ، يعني بكل بساطة ان نتخلى كشعب ، وكتاريخ ، عن كل اسباب وجودنا » (١)

والجواب على هذا ان ليس ثمة من يدعو للتخلي عن المتوسط . ولكن من اجل ان يقوم حوار بين الشرق والغرب ، يجب ان يكون ثمة تفاهم وتبادل . وما دام ذلك الغرب وهذا المتوسط يدعمان اسرائيل في عدوانها على العالم العربي ، فان هذا الحوار يظل مستحيلا .

ان الثقافة العربية المعاصرة تعيش على كل المستويات وفي جميع الميادين ، قلق الشعب العربي في كفاحه من اجل الحرية والوحدة . وهي من اجل ان تقدم اسهامها في البناء العالمي بحاجة الى معونة صادقة ومخلصة تمكنها من ابلاغ هذا الكفاح طريق النصر .

ان الثقافة العربية وثقافة اوروبا المتوسطية مدعوتان للنضال من اجل علاقات بشرية جديدة ، من اجل تغيير شروط الحياة والكائنات ، من اجل اقامة عهد للانسانية جديدة .

٣ . مع عواد وموراڤيا

في زيارتي لايطاليا هذا الشهر للمشاركة في مؤتمر « الثقافة العربية وثقافة البحر الابيض المتوسط » الذي عقد في فلورنسا، توقفت يومين في روما أبى فيهما صديقي العزيز توفيق يوسف عواد سفير لبنان في ايطاليا الا ان يستضيفني عنده ويحيطني برعاية الصداقة التي تربط بيننا منذ اكثر من خمسة وعشرين عاما . وقد جلسنا ساعات طويلة تناولنا فيها شؤون الادب العامة ، وحدثته عن الاقبال الكبير الذي تلقاه روايته « طواحين بيروت » في لبنان على وجه الخصوص .

وقد أسعدني ان « الشعلة الادبية » التي تخفق بها روح صاحب « الرغيف » تزداد على الايام اضطراما ، وانه بات يستعجل حلول أجل تقاعده من العمل الدبلوماسي بعد عامين ليتفرغ كليا للانتاج الادبي ، وبخاصة الروائي . ولا أحسب الا ان الادباء الشباب او الكهول يغبطون هذا الاديب المبدع الذي بدأ يعد العدة لكتابة رواية جديدة اخرى وأقاصيص مختلفة ترد له شبابه الادبي الحافل .

وفي روما كذلك ، اتيح لي ان التقي بالكاتب الايطالي الكبير البرتو موراڤيا . وبالرغم من انشغال وقته كله بارتباطات سابقة ، فقد استجاب لرغبتي في لقائه التي حملها اليه صديق الطرفين نبيل مهايني مراسل «الآداب» في روما ، كما وافق على تلبية الدعوة التي وجهتها اليه باسم اتحاد الكتاب اللبنانيين لالقاء محاضرة في بيروت .

وقد عبر لي موراڤيا ، في ذلك اللقاء الذي لم يتجاوز نصف ساعة ، عن اسفه لضيق وقته ، وحدثني باللغة الفرنسية عن تلك الدوامة التي يعيش فيها من تراكم العمل وعن ضيقه بالزمن الذي يفر من بين أصابعه ، فلا يتيح له ان يقوم بما يود ان يقوم به حقا من العمل الادبي .

ويتحدث موراڤيا اليك بحيوية كبيرة قد تتناقض مع سنه ، وتشارك يداه مشاركة كبيرة في التعبير عن آرائه ، وهو يكاد لا يستقر في مجلسه . وقد سألني عن كتابه « انا وهو » وعن رواجه في العالم العربي . فأجبته بأنه منع في بعض البلدان العربية بسبب ان الرقباء فيها توقفوا من الرواية عند سطحها، وهو يكشف ظاهراً جنسيا، ولم ينفذوا الى عمق الصراع الذي يعيش فيه بطل الرواية.

قال موراڤيا : ان رواية « انا وهو » رواية صعبة .

قلت : ولكن صعوبتها لم تمنع المثقفين العرب من تذوقها وفهمها وكتابة الدراسات عنها .

وسألني بعد ذلك عن الموضوع الذي يقترح اتحاد الكتاب اللبنانيين ان يعالجه في محاضرته ، فأجبت : موضوع تجربتك الادبية . واضفت انه موضوع واسع ، فقال ضاحكا : نستطيع ان نضيقه قليلا .

واتفقنا على ان يزور لبنان في الربيع القادم .

ثم دخلت علينا زوجة موراڤيا ، داتشاماريني ، وهي كاتبة مشهورة في ايطاليا ، وذكرته بموعده في تلك الساعة . وخرجنا معا ، فعاد يتبرم بوقت الانسان الضيق في هذه الحياة القصيرة ...

سهيل ادريس

(١) « فلسفة لزماننا » ـ محاضرات الندوة اللبنانية ص ١٣٠ .